محاورات الموتى

المحاورة الثانية

للكاتب الفرنسي برنار بوفيه دفونتنيل

بقلم الأديب يوسف روشا

أنكريون وأرسطو

أنكريون : شاعر غنائي إغريقي شهير من بلدة تيوس في يونيا ولد حوالي ٥٦٠ قبل المسيح . كان دأبه التغني بالحب والخمر

أرسطو : من أعظم فلاسفة الاغريق ولد حوالي ٣٨٤ قبل المسيح . فلما بلغ الثامنة عشرة من عمره ذهب إلى أثينا وتلمذ لأفلاطون عشرين عاما وتلقى بعد ذلك دعوة من بلاط مقدونيا ليعلم الاسكندر ، وكان يومئذ في الثالثة عشرة من عمره . ولأرسطو الفضل الأكبر في نشوء الفلسفة والعلوم وازدهارها ، وخاصة في العهود التي سبقت النهضة الفكرية والعلمية الحديثة .

ابتداء المحاورة

أرسطو : لم يخطر ببالي أن يجرؤ شاعر غنائي على أن يقارن نفسه بفيلسوف شهير مثلي .

أنكريون : أنت رفعت اسم الفيلسوف ، وأنا أيضاً أسكرت النفوس بأغاريدي ، حتى أصبح الناس يلقبونني بأنكريون « الحكيم » وإنه ليلوح لي أن لقب « الحكيم » لا يقل منزلة عن لقب « الفيلسوف »

أرسطو : إن الذين منحوك هذا اللقب لم يتدبروا ولم يفكروا ؛ وإلا فما الذي عملته حتى تستحق أن تلقب بالحكيم ؟

أنكريون : أنا لم أعمل شيئاً سوى الشرب والغناء والغزل . وإن من أعجب العجب أن ألقب « بالحكيم » بهذا الثمن البخس ، على حين أنك لم تحصل على لقب الفيلسوف إلا بشق النفس . فكم سهرت من ليال محاولاً نظم ما انتثر من علم المنطق الشائك ! وكم ألفت من كتب ضخمة في موضوعات غامضة لعلك لم تفهمها أنت نفسك حق الفهم

أرسطو : أعترف بأنك قد توخيت أسهل الطرق إلى الحكمة . ولو لم تكن على جانب عظيم من الذكاء لما استطعت أن تبلغ بقيثارك وكأسك من المجد ما لم يبلغه أعاظم الرجال بالدرس العميق والجهد المتصل

أنكريون : إني لأشم من كلامك رائحة التهكم ؛ ولكني مازلت أعتقد أن من أصعب الأمور على المرء أن يشرب ويغني كما كنت أشرب وأغني ، وإن من أسهلها عليه أن يفلسف كما تفلسف أنت . إنك لكي تشرب وتغني كما كنت أفعل ، يجب أن تتجرد من العواطف الجائشة ، وألا تطمح إلى شيء ليس إلى حصوله من سبيل ، وأن تكون مستعداً لأخذ الحياة على علاتها . وقصارى القول إن هناك عدداً من المسائل الصغيرة يجب على المرء قبل كل شيء أن يتدبرها مع نفسه ؛ وأن هذه المسائل وإن كانت لا تحتاج إلى براعة فائقة ، لا ينتهي منها المرء إلا بعد عناء طويل . أما أن يفلسف المرء كما كنت تفعل ، فلا يحتاج إلى كل هذا العناء ، ذلك لأن الفيلسوف لا يضطر إلى معالجة نفسه من الطموح أو الطمع ، وأن من الفلاسفة من تجمع لديه من المنح خمسمائة ألف ريال ، ولكنه لم ينفقها كلها في سبيل العلم كما أراد مانحها . وجملة الكلام أن في هذا النوع من الفلسفة أشياء كثيرة تنافي الفلسفة

أرسطو : يظهر أنك سمعت عني وشايات كثيرة منذ هبطت إلينا . ومهما يكن من الأمر فإن مقياس الرجل عقله ، وإن أسمى عمل في الوجود هو أن تعين الناس على فهم أسرار هذه الطبيعة واستجلاء غوامضها

أنكريون : إن هناك ما يبرهن على أن الرجال يسيئون استعمال كل شيء . فالفلسفة في ذاتها شيء جميل للغاية ؛ ولو أحسن الناس استعمالها لأفادتهم فوائد جليلة جزيلة ؛ ولكنهم أشفقوا من أن تربكهم إذا هي تدخلت في أمورهم فقذفوا بها في الفضاء

لتبحث عن الكواكب وقياس حركاتها ، فإذا أعادوها إلى أرضهم استعانوا بها على بحث ما يظنونه هناك . وخلاصة القول أنهم حريصون ما استطاعوا على أن تكون الفلسفة مشغولة عنهم . ولما كانوا شديدي الرغبة في أن يكونوا فلاسفة بأيسر كلفة فقد وسموا بفضل براعتهم ، استعمال هذا اللقب حتى أخذوا يسبغونه في أكثر الأحيان ، على الذين يبحثون في قوانين الطبيعة .

أرسطو : وهل ثمة لقب أصح لهؤلاء من هذا اللقب ؟

أنكريون : الفلسفة يجب أن تعنى بالناس فحسب ، وألا تشغل نفسها بما عداهم ؛ فالفلكي ينظر في النجوم ، والطبيب يعنى بالأجسام ، والفيلسوف يفكر في نفسه . ولكن من ذا الذي يرضى أن يوضع في مثل هذا الموضع الشائك ؟ لا أحد ، واحسرتاه ! ولذلك سمحوا للفلاسفة ألا يكونوا فلاسفة ، واقتنع الجميع بأن يكونوا فلكيين أو أطباء . أما أنا فإني لم أكن بطبيعتي ميالاً إلى الأمعان في التفكير ؛ ولكني واثق بأنه ليس في أكثر الكتب الفلسفية فلسفة بقدر ما في بعض قصائدي التي تزدريها هذا الازدراء . وإليك واحدة منها على سبيل المثال :

« لو أن في إمكان « الأصفر الرنان » أن يطيل أمد الحياة السريعة الإدبار ، لكلفت به أشد الكلف ، ولملأت منه خزانتي ، حتى إذا ما حانت الساعة ، ولم يبق لي عند أحد شفاعة ، رشوت به الموت ليؤجل حتفي . أما وإن ذهب الدنيا كلها لا يستطيع أن يمد في حياتنا ساعة واحدة ، ولا أن يثير حلكة القبر ، فلماذا إذن نعنّي أنفسنا ونذرف الدمع السخين ، بلا جدوى ، على مصيرنا المحتوم ؟ لا ... أعط الثروة غيري ، فليست لي بها حاجة ، ودعني أرتع في ملذاتي ، بين أصحابي ولذاتي ، وليكن نصيبي مما بقي من حياتي تلك الأفراح التي لا يقدر على منحها إلا الحب »

أرسطو : إذا شئت أن تقصر الفلسفة على علم الأخلاق فإنك واجد في كتبي عن الأخلاق أشياء لا تقل إبداعاً عن قصائدك . ومهما يكن من أمر هذا الغموض الذي قد تجده في بعض كتبي ، والذي من أجله وُبِّخت أعنف توبيخ ، فإنك لن تجده في كل ما كتبت في ذاك الموضوع . لقد أقر العالم أجمع بأنه ليس ثمة أوضح ولا أروع مما قلت في العاطفة

أنكريون : ما أشد خطأك ! ليست المسألة مسألة تحديد العواطف على طريقة من الطرق كالذي زعموا أنك فعلت ، بل المهم التغلب عليها وقهرها . فالرجال يضعون بين أيدي الفلاسفة أخطاءهم عن طيبة خاطر ، للنظر فيها لا لعلاجها . ولقد اكتشف الفلاسفة سر إيجاد قواعد أخلاقية لا تسهم بقدر ما يسهم علم الفلك . وكيف تملك ألا نضحك عند ما نرى رجالاً يذمون المال وهم أشد الناس تكالباً على اقتنائه ؟ ثم كيف نمسك نفوسنا عن الضحك عند ما نشاهد أراذل الناس يتشاجرون فيما بينهم على تحديد معنى الشهامة .

(بغداد) يوسف موسا

الأستاذ أبو خلدون ساطع الحصري

يقدم

إلى المربين والمعلمين والوالدين والمفكرين كتابه الجديد

آراء وأحاديث

في

التربية والتعليم

وهو خلاصة مطالعات ، ونتيجة مشاهدات ، وزبدة تجارب ، في ترتيب منطقي وأسلوب سهل وصورة مشوقة . والقسم الثالث منه خاص بنظام التعليم في مصر ونقده وبحث مشكلة التعليم الإلزامي فيه

يباع في إدارة مجلة الرسالة وفي سائر المكاتب الشهيرة

وثمنه ثلاثون قرشاً عدا أجرة البريد